معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس القواعد المثلى

شرح الشيخ علي الرملي حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (20)

التاريخ: الخميس 10/ربيع الأول/1441 هـ

07/ نوفمبر/2019 م

الدرس العشرون من "القواعد المثلى"

قال المؤلف رحمه الله: (**واعلم أنّ تفسير المعيّة بظاهرها على الحقيقة اللائقة بالله تعالى لا يناقض ما ثبت من علوّ الله تعالى بذاته على عرشه**)

يعني: عندما نفسر الآيات التي تقدمت معنا بالمعيّة الحقيقية اللائقة بالله سبحانه وتعالى، فما المقصود بالمعية الحقيقية؟ هل يقصد بذلك الاختلاط؟ أن يكون الله سبحانه وتعالى مختلطاً بعباده؟ لا، ليس هذا المقصود بالمعيّة الحقيقية التي ذكرها المؤلف هنا، وإنّما المقصود من ذلك هي معيّة العلم، معيّة الإحاطة، معيّة النصرة... إلى آخره، وتفسير الآية على هذا المعنى لا ينافي علوّ الله تبارك وتعالى على خلقه ولا يناقضه.

قال :(**وذلك من وجوه ثلاثة:**

الأول :أنّ الله تعالى جمع بينهما لنفسه في كتابه المبين المنزّه عن التناقض، وما جمع الله بينهما في كتابه فلا تناقض بينهما)

وإن زعم عقلك أنّهما متناقضان، فبما أنّ الله سبحانه وتعالى ذكر أنّه عالٍ على عرشه مستوٍ عليه، وأنّه تبارك وتعالى مع عباده، إذاً فهذا حقّ لا شكّ فيه، وإن ظننت أنت بعقلك أنّ هذا تناقض فليس بتناقض، ولكنّ التناقض حصل في عقلك أنت؛ لأنّ عقلك قاصر لا يفهم الأمور تامة، فحصل عنده هذا التناقض، لكنّ حقيقة الأمر أنّه لا تناقض بينهما، وبما أنّ الله سبحانه وتعالى قد أخبر عن هذا وهذا أنّه كائن، إذاً فلا تناقض بين الأمرين.

قال:(**وكلّ شيء في القرآن تظنّ فيه التناقض فيما يبدو لك، فتدبره حتى يتبيَّن لك**)

أيّ شيء يمرّ بك في القرآن، أي مسألة تمرُّ بك في القرآن وتظن أنّ الأدلة متناقضة ومضطربة فيها، فاعلم أنّ التناقض والاضطراب إنّما هو في عقلك.

لماذا رددناه إلى العقل؟

لأنّ عقل الإنسان ناقص، مهما بلغ مبلغاً في التفكير والذكاء والحنكة... إلى آخره، إلّا أنّه في النهاية عقل بشري، يعني: يدرك أشياء وتفوته أشياء،

أمّا كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ فهي من عند ربّ العالمين، لا يمكن أن تتناقض؛ لأنّ كلّها شيء

واحد، والله سبحانه وتعالى حكيم عليم قدير، لا يمكن لكلامه أن يتناقض وأن يضطرب، إنّما التناقض والاضطراب يحصل في كلام الكذاب، في كلام الذي يتكلم من غير حكمة، من غير علم، هذا الذي يحصل في كلامه تناقض واضطراب، فيعتريه الجهل، يعتريه النقص بأي وجه من الوجوه، فيحصل اضطراب وتناقض في كلامه، والله سبحانه وتعالى منزّه عن كلّ هذا، إذاً نحن عندنا يقين أنّ الله سبحانه وتعالى كلامه لا يتناقض ولا يضطرب،

فإذاً إذا حصل وفهمنا من كلام الله تناقضاً، فالتناقض يكون في عقولنا؛ لذلك ألّف العلماء كتباً فيما يظهر لبعض الناس أنّه تناقض واضطراب في بعض الأدلة من الكتاب أو من السّنة، ككتب اختلاف الحديث مثلاً التي ألّف فيها الإمام الشافعي رحمه الله وغيره،

وكذلك كتاب نفيس نافع جداً، هو كتاب: "**دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب**" للشيخ محمد أمين الشنقيطي،

وفي كتب التفسير أيضاً الكثير من هذا القبيل من التوفيق بين الأدلة التي يظهر لبعض الناس أنّها متناقضة أو متعارضة، تكلم العلماء عنها وفكوا ما يشتبه على بعض الناس من أنّه متناقض.

قال: (**لقوله تعالى: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً}**[1])

فلو كان القرآن من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، أمّا ما كان من عند الله فلا يكون فيه اختلاف أبداً؛ لأنّه قائم على العلم وعلى الحكمة وعلى القدرة، كلّها صفات الله سبحانه وتعالى يتصف بها،

أمّا المخلوق فلا يتحلى بهذه الصفات -صفات الكمال- فيحدث في كلامه اختلاف واضطراب.

قال: (**فإن لم يتبين لك فعليك بطريق الراسخين في العلم، الذين يقولون: {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا}**[2])

يعني: بعد البحث والتفتيش والنظر في الأدلة، حاولت أن تزيل هذا التناقض الذي حصل في عقلك بين أدلة الكتاب والسنة، لكنّك لم تستطع، ولم توفق إلى ذلك، فعليك عندئذٍ أن تسلّم

1- [النساء:82]

2- [آل عمران:7]

وتقول: كلّ من عند ربّنا آمنا به، وانتهينا، يعني: آمنا أنّ هذا القرآن كلّه من عند الله وأنّ الاختلاف والاضطراب فيه لا يدخل عليه أبداً، وإنّما أوتيت من جهلي وقلّة علمي فما استطعت أن أصل إلى حقيقة المراد، عندئذ تسلّم الأمر لله سبحانه وتعالى وتقول: ﴿آمنا به كلّ من عند ربّنا﴾، وبذلك تكون قد سلّمت لأمر الله تبارك وتعالى ولم تقع في المحذور؛ لأنّك جاهل في هذه المسألة وأنت متوقف فيها وليس عندك شيء؛ لأنّ عقلك ما أعانك على فهم نصوص الكتاب والسنة.

قال المؤلف: (وكِلِ الأمرَ إلى مُنْزِله الذي يعلمه، واعلم أنّ القصور في علمك أو في فهمك، وأنّ القرآن لا تناقض فيه)

أي: سلّم لأمر الله سبحانه وتعالى، عليك بطريق الراسخين في العلم الذين يقولون: ﴿آمنّا به كلّ من عند ربّنا﴾، وَكِلْ أمره إلى الله سبحانه وتعالى، واعلم أنّ القصور منك، بسبب جهلك وقلّة علمك، وصل الأمر معك إلى هذا الحد، سَلِّم بذلك وانتهى الأمر.

قال: (وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام في قوله فيما سبق: "كما جمع الله بينهما". وكذلك ابن القيم كما في "مختصر الصواعق" لابن الموصلي (ص410 ط الإمام) في سياق كلامه على المثال التاسع مما قيل إنّه مجاز، قال: "وقد أخبر الله أنّه مع خلقه مع كونه مستوياً على عرشه، وقرن بين الأمرين كما قال تعالى: وذكر آية سورة الحديد)

التي معنا، نمثل بها

قال: (ثم قال: فأخبر أنّه خلق السماوات والأرض، وأنّه استوى على عرشه، وأنّه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه، كما في حديث الأوعال: "والله فوق العرش يرى ما أنتم عليه"، فَعُلُوُّه لا يناقض مَعِيَّته، ومَعِيَّتُه لا تُبْطِلُ علوّه، بل كلاهما حقّ ا.هـ).

الكلام على ما مرّ وتقدم معنا، نفس المعنى.

قال: (الوجه الثاني: أنّ حقيقة معنى المعيّة لا يناقض العلوّ، فالاجتماع بينهما ممكن في حقّ المخلوق، فإنّه يُقال: ما زلنا نسير والقمر معنا)

يعني: لا يلزم من المعيّة المخالطة، والمثال على ذلك بالقمر.

قال: (ولا يعدّ ذلك تناقضاً، ولا يفهم منه أحدٌ أنّ القمر نزل في الأرض، فإذا كان هذا ممكناً في حقّ المخلوق، ففي حقّ الخالق المحيط بكلّ شيء مع علوّه سبحانه من باب أولى؛ وذلك لأنّ حقيقة المعيّة لا تستلزم الاجتماع في المكان.

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيميه في الفتوى الحموية (ص 103 المجلد الخامس من مجموع الفتاوى لابن القاسم، حيث قال: "وذلك أنّ كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلّا المقارنة المطلقة، من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال)

يعني: أنّها تدلّ على معنى ولا تدلّ على الثاني،

- **المعنى الأول الذي تدلّ عليه هو: المقارنة المطلقة**، يعني: أنّ هذا وهذا مع بعضهما مقترنان، بالشيء الذي جُمِعَ بينهما، تقول أسير والقمر، يعني: أسير مع القمر، إذاً اجتمعا في السير،
- ولا يلزم من ذلك **المعنى الثاني وهو وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال**، لا يجب أن يكون الذي قلت عنه: هو معي، مختلِطاً بك، أو أن يكون عن يمينك أو عن شمالك.

قال: (فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلّت على المقارنة في ذلك المعنى)

خصيصاً في المعنى الذي ذكرته.

قال: (فإنّه يُقال: ما زلنا نسير والقمر معنا، أو: والنجم معنا، ويُقال: هذا المتاع معي؛ لمجامعته لك، وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة. أ.هـ)

المعنى واحد في النهاية، نفس كلام شيخ الإسلام هو كلام ابن القيم، هو كلام الشيخ ابن عثيمين: أن علوّ الله سبحانه وتعالى على خلقه، ومعيّة الله سبحانه وتعالى التي ذكرها وهي معيّة العلم... إلى آخره لا تناقض بينهما، ولا يلزم من معيّة الله سبحانه وتعالى المخالطة.

قال:(وصدق رحمه الله تعالى، فإنّ من كان عالماً بك، مُطَّلِعاً عليك، مهيمناً عليك، يسمع ما تقول، ويرى ما تفعل، ويُدبر جميع أمورك، فهو معك حقيقة، وإن كان فوق عرشه حقيقة؛ لأنّ المعيّة لا تستلزم الاجتماع في المكان)

بعض الناس عندما يسمع معيّة حقيقية يفهم من ذلك الاختلاط وهذا باطل، وقد فسرّه المؤلف أكثر من مرة ماذا يعني بالمعيّة الحقيقية.

قال: (**الوجه الثالث :أنّه لو فُرض امتناع اجتماع المعيّة والعلوّ في حقّ المخلوق، لم يلزم أن يكون ذلك ممتنعاً في حقّ الخالق**)

يعني: لو تصورنا أنّه لا يمكن أن نجمع بين أن يكون الشيء معك وعالٍ عليك بالنسبة للمخلوقات، فإنه إمّا أن يكون معك أو أن يكون عالياً عليك بالنسبة للمخلوق، فلا يلزم ذلك أن يكون كذلك بالنسبة للخالق، يعني: ما يلزمُ في المخلوق لا يلزم في الخالق؛ هذا لو قلنا بأنّه لازم في المخلوق.

قال: (**الذي جمع لنفسه بينهما؛ لأنّ الله تعالى لا يماثله شيء من مخلوقاته، كما قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.**

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيميه في "العقيدة الواسطية" (ص 143، ج 3) من مجموع الفتاوى، حيث قال: "وما ذُكر في الكتاب والسّنة من قُرْبِهِ ومعِيَّته لا ينافي ما ذكر من علوّه وفوقيَّته؛ فإنّه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو عليٌّ في دنوّه، قريب في علوّه. أ.هـ)

في جميع نعوته يعني: في جميع صفاته، وهو مع علوّه تبارك وتعالى هو أيضاً قريب من عباده يعلم ما يفعلون، ويسمع ويبصر... إلى آخره.

إذاً لو تصورنا أنّه لا يمكن أن يكون الإنسان المخلوق عالٍ عليك وفي نفس الوقت معك، فيمكن أن نتصوره في حقّ الخالق تبارك وتعالى؛ لأنّ الخالق والمخلوق لا يتشابهان أو لا يتماثلان، فلا يصحّ أن نقيس الخالق على المخلوق فنقول بما أنّه لا يصحّ في المخلوق فلا يصحّ في الخالق، أبداً هذا باطل، هذا معنى ما ذكره.

قال رحمه الله: (**تتمة: انقسم الناس في معيَّة الله تعالى لخلقه ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: يقولون: إنّ معيّة الله تعالى لخلقه مقتضاها العلم والإحاطة في المعيّة العامة، ومع النصر والتأييد في المعيّة الخاصة، مع ثبوت علوّه بذاته واستوائه على عرشه)

ذكرنا لكم أن المعية قسمان معية عامة ومعية خاصة، المعيّة العامة لكلّ الناس، والمعيّة

الخاصة خاصة بالمؤمنين وأهل الصلاح؛ معيّة النصر والتأييد.
فهذه هي عقيدة أهل السّنة والجماعة.

قال: (وهؤلاء هم السلف، ومذهبهم هو الحقّ، كما سبق تقريره).
قال: (القسم الثاني: يقولون: إنّ معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض، مع نفي علوّه واستوائه على عرشه)
يعني: يقولون إذا قلنا بأنّ الله معنا إذاً فهو معنا موجود على الأرض ومختلط بنا، وهو ليس مستوٍ على عرشه، لذلك هم ينفون تماماً أن تقول: الله سبحانه وتعالى في السماء، وينكرون إنكاراً شديداً لهذا.

قال: (وهؤلاء هم الحُلوليَّة من قدماء الجهمية وغيرهم، ومذهبهم باطل منكر، أجمع السلف على بطلانه وإنكاره كما سبق)
وكثير من الصوفية على هذا المذهب، مذهب الحلول والاتحاد.

قال: (القسم الثالث :يقولون: إنّ معيّة الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض، مع ثبوت علوّه فوق عرشه. ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيميه (ص 229، ج 5) من "مجموع الفتاوى".
وقد زعم هؤلاء أنّهم أخذوا بظاهر النصوص في المعيّة والعلوّ. وكذبوا في ذلك فضلّوا؛ فإنّ نصوص المعيّة لا تقضي ما ادعوه من الحلول؛ لأنّه باطل، ولا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله ﷺ باطلاً)
هؤلاء القسم الثالث قالوا ما قاله القسم السابق من أنّ الله معنا مختلط بخلقه، لكنّ الفرق بينهم أنّ هؤلاء أثبتوا أيضاً علوّ الله على خلقه، فهم يثبتون علوّ الله على خلقه ويثبتون أنّه في الأرض مع خلقه، مختلط بهم، وهؤلاء قولهم باطل منكر مخالف للأدلة الواضحة الصريحة ومخالف لإجماع السلف رضي الله عنهم.

قال المؤلف: (تنبيه: اعلم أنّ تفسير السلف لمعيّة الله تعالى لخلقه بأنّه معهم بعلمه لا يقتضي الاقتصار على العلم، بل المعيّة تقتضي أيضاً إحاطته بهم سمعاً وبصراً وقدرةً وتدبيراً، ونحو

ذلك من معاني ربوبيته)

يعني: لا تفسَّر المعيّة بالعلم فقط، بل هي أوسع من هذا، كما مثّل المؤلف من السمع والبصر والقدرة والتدبير ونحو ذلك من أفعال الله سبحانه وتعالى.

قال: (تنبيه آخر: أشرت فيما سبق إلى أنّ علوّ الله تعالى ثابت بالكتاب والسّنة والعقل والفطرة والإجماع)

يريد المؤلف أن يذكر الآن الأدلة على علوّ الله تبارك وتعالى على خلقه.

قال: (أمّا الكتاب: فقد تنوعت دلالته على ذلك)

وقد جمع الحافظ الذهبي رحمه الله كتاباً في ذلك سمّاه "العلو" جمع فيه أدلة كثيرة، وأقوال السلف رضي الله عنهم في هذه المسألة، وهو كتاب جامع في هذه المسألة حقيقة، وقد اختصره الإمام الألباني رحمه الله فحذف منه الضعيف وأثبت الصحيح.

قال: (فتارةً بلفظ العلوّ، والفوقية، والاستواء على العرش، وكونه في السماء، كقوله تعالى: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}[1]، {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ}[2]، {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}[3]، {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ}[4].

وتارة بلفظ صعود الأشياء وعروجها ورفعها إليه، كقوله: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ}[5])

يصعد إلى السماء، أي إلى الله سبحانه وتعالى.

قال: ({تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ}[6]، {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}[7].

وتارة بلفظ نزول الأشياء منه، ونحو ذلك، كقوله تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ}[8]، {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ}[9].

1- [البقرة:55]

2- [الأنعام:18]

3- [طه:5]

4- [الملك:16]

5- [فاطر:10]

6- [المعارج:4]

7- [آل عمران:55]

8- [النحل:102]

9- [السجدة:5]

وأمّا السّنة: فقد دلّت عليه بأنواعها: القولية والفعلية والإقرارية في أحاديث كثيرة تبلغ حدّ التواتر)

يعني أنّها كثيرة جداً، رواها جمع عن جمع.

قال: (وعلى وجوه متنوعة، كقوله ﷺ في سجوده:"سبحان ربي الأعلى"، وقوله: "إنّ الله لمّا قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إنّ رحمتي سبقت غضبي"[1])

الشاهد: "كتب عنده فوق عرشه"

قال: (وقوله: "ألا تأمنوني وأنا أمينُ من في السماء؟"[2].

وثبت عنه أنّه رفع يديه وهو على المنبر يوم الجمعة يقول: "اللهم أغثنا"[3])

يرفع يديه لله سبحانه وتعالى، مستوٍ على عرش.

قال: (وأنّه رفع يده إلى السماء وهو يخطب الناس يوم عرفة حين قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت وأديت ونصحت، فقال: "اللهم اشهد"[4])

كان يشير إلى السماء، ويشير إليهم.

قال: (وأنّه قال للجارية: "أين الله؟" قالت: في السماء، فأقرّها وقال لسيدها :اعتقها، فإنّها مؤمنة"[5].

وأمّا العقل: فقد دلّ على وجوب صفة الكمال لله تعالى وتنزيهه عن النقص، والعلوّ صفة كمال، والسفل نقص، فوجب لله تعالى صفة العلوّ، وتنزيهه عن ضده.

وأمّا الفطرة: فقد دلّت على علوّ الله تعالى دلالة ضرورية فطرية، فما من داعٍ أو خائفٍ فزع إلى ربّه تعالى إلّا وجد في قلبه ضرورة الاتجاه نحو العلوّ، لا يلتفت عن ذلك يمنة ولا يسرة)

يعني: عندما يتوجه بالدعاء ، فإنه يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى، إلى العلوّ، لا يتوجه لا إلى اليمين ولا إلى الشمال.

1- أخرجه البخاري (7422) عن أبي هريرة

2- أخرجه البخاري (4351)، ومسلم (1064) عن أبي سعد الخدري

3- أخرجه البخاري (1014)، ومسلم (897) عن أنس

4- أخرجه مسلم (1218) عن جابر

5- أخرجه مسلم (537) عن معاوية بن الحكم السلمي

قال: (واسأل المصلين، يقول الواحد منهم في سجوده: سبحان ربي الأعلى؛ أين تتجه قلوبهم حينذاك؟

وأمّا الإجماع: فقد أجمع الصحابة والتابعون والأئمة على أنّ الله تعالى فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، وكلامهم مشهور في ذلك نصاً وظاهراً، قال الأوزاعي: كنا والتابعون متوافرون نقول: "إنّ الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما جاءت به السّنة من الصفات"[1]، وقد نقل الإجماع على ذلك غيرواحد من أهل العلم، ومحال أن يقع في ذلك خلاف، وقد تطابقت عليه هذه الأدلة العظيمة، التي لا يخالفها إلّا مكابر طُمِسَ على قلبه، واجتالته الشياطين عن فطرته، نسأل الله تعالى السلامة والعافية)

آمين.

قال: (فعلوّ الله تعالى بذاته وصفاته من أبينِ الأشياء وأظهرها دليلاً، وأحقّ الأشياء وأثبتها واقعاً)

ثم قال المؤلف رحمه الله: (تنبيه ثالث: اعلم أيها القارئ الكريم أنّه صدر مني كتابة لبعض الطلبة، تتضمن ما قلته في بعض المجالس في معيّة الله تعالى لخلقه، ذكرت فيها:

أن عقيدتنا: أنّ لله تعالى معية حقيقية ذاتية تليق به، وتقتضي إحاطته بكلّ شيء علماً وقدرةً وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً، وأنّه سبحانه منزّه أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالّاً في أمكنتهم، بل هو العليّ بذاته وصفاته، وعلوّه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها، وأنّه مستوٍ على عرشه كما يليق بجلاله، وأنّ ذلك لا يُنافي معيته، لأنّه تعالى :{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، وأردت بقولي: (ذاتية) توكيد حقيقة معيَّته تبارك وتعالى)

لاحظ هنا! ركّزوا على كلمة: (ذاتية)،

المؤلف رحمه الله يذكر ما حصل معه في وقت من الأوقات، كتب عقيدة لبعض الناس وقرّر فيها أنّ الله سبحانه وتعالى معنا حقيقة بذاته، ولأجلّ كلمة بذاته هذه حصل الخلاف والنزاع، فأنكر عليه بعض أهل العلم وقالوا هذا لا يجوز؛ لأنّه يوهم عقيدة الحلول التي ذكرنا أن بعض الناس

1- أخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات" (304/2) رقم (865)

يقول بها، فكلمة (بذاته) توهم هذا المعنى؛ لذلك أُنكر على الشيخ هذا الكلام رحمه الله، فتراجع عنه كما سيقرره الآن معنا.

قال: (أنّ عقيدتنا: أنّ لله تعالى معية حقيقية ذاتية تليق به، وتقتضي إحاطته بكلّ شيء علماً وقدرةً وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً، وأنّه سبحانه منزّه أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم)

هذا المعنى أنّه منزّه أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم، هو الذي فُهم من قوله: (ذاتية)، فهم من ذلك أنّه مختلط بخلقه وأنّه حالّ في أمكنتهم، فهنا ركّز المؤلف على نفي هذا المعنى.

قال: (بل هو العليّ بذاته وصفاته، وعلوّه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها، وأنّه مستوٍ على عرشه كما يليق بجلاله، وأنّ ذلك لا يُنافي معيته، لأنّه تعالى :{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، وأردت بقولي: (ذاتية) توكيد حقيقة معيَّته تبارك وتعالى)

فكلمة (ذاتية) هي محل الخلاف، والإشكال الذي حصل مع الشيخ.

وقوله: (وأردت بقولي: ذاتية، توكيد حقيقة معيته تبارك تعالى)، أنّه لا يريد معنى الاختلاط بالخلق ومعنى أنّه حالّ في أمكنتهم.

قال: (وما أردت أنّه مع خلقه سبحانه في الأرض، كيف؟ وقد قلت في نفس هذه الكتابة كما ترى: أنّه سبحانه منزّه أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم، وأنّه العليّ بذاته وصفاته، وأنّ علوّه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها، وقلت فيها أيضاً ما نصّه بالحرف الواحد:

"ونرى أنّ من زعم أنّ الله بذاته في كلّ مكان فهو كافر أو ضالّ إن اعتقده، وكاذب إن نسبه إلى غيره من سلف الأمة أو أئمتها. أ.هـ)

فتقريراته رحمه الله مع تلك الكلمة التي ذكرها- وإن كانت الكلمة في حدّ ذاتها موهمة حقيقة- لكن ما ذكره لهذه القرائن معه تدلّ على أنّه ما أراد المعنى الفاسد.

لكن يا إخوان بارك الله فيكم وكما سيفعل الشيخ إن شاء الله، في مسائل العقيدة احذر حذراً شديداً من أن تنطق بكلمات مجملة أو موهمة، هذا أمر خطير؛ لأنّه كما حصل مع الشيخ هنا

عندما تكلم بهذه الكلمة طار بها أهل الحلول والاتحاد، وقالوا انظروا إلى الشيخ ابن عثيمين يقرّر عقيدتنا، مع أنّ كلامه ليس معهم، لكن صار في الأمر شبهة، والشيخ رحمه الله تراجع عن هذا الأمر والحمد لله، ونفس كلام الشيخ الذي فيه سياق تلك الكلمة يدلّ على أنّه ما أراد المعنى الفاسد، وهذا قد قرّره في نفس الكلام ثم قرّره بعد أن تراجع عن هذا الكلام أصلاً، لكن نأخذ هذا درساً، فلا نتكلم بالكلمات المجملة في العقائد؛ لأنّ الأمر خطير، فيه تلبيس فيلتبس فيه الحقّ بالباطل، وسنتحدث إن شاء الله عن هذه المسألة في كتب العقيدة الأخرى كشرح عقيدة السلف أصحاب الحديث عند الكلام عن قول بعضهم: لفظي بالقرآن مخلوق.

ثم قال المؤلف: (**ولا يمكن لعاقلٍ عرفَ الله وقدّره حقّ قدره أن يقول: إنّ الله مع خلقه في الأرض، وما زلتُ ولا أزالُ أُنْكِرُ هذا القولَ في كلّ مجلسٍ من مجالسي جرى فيه ذكره، وأسأل الله تعالى أن يثبتني وإخواني المسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة**)

آمين، وجزاه الله خيراً، وقد أزال الشبهة تماماً في كلامه.

قال: (**وقد كتبت بعد ذلك مقالاً نُشر في مجلة: (الدعوة) التي تصدر في الرياض، نُشر يوم الاثنين الرابع من شهر محرم سنة 1404 هـ برقم 911، قررت فيه ما قرره شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى: من أنّ معيَّة الله تعالى لخلقه حقّ على حقيقتها، وأنّ ذلك لا يقتضي الحلول والاختلاط بالخلق، فضلاً عن أن يستلزمه. ورأيت من الواجب استبعاد كلمة "ذاتية"، وبيَّنت أوجِ الجمع بين علوِ الله وحقيقة المعيَّة**)

المؤلف رحمه الله يعلمنا هنا دروساً، الشيخ ابن عثيمين معلم وليس بالقول فقط بل بالفعل أيضاً، انظروا إلى هذا الدرس الذي يعلِّمه للطلبة؛ أن ترجع مباشرة عن الخطأ، حتى وإن كان مجرد كلامٍ موهمٍ أو مجملٍ، ارجع عنه، اتركه، حفظ عقيدة المسلمين أولى من كلّ شيء، من أنت أمام دين الله سبحانه وتعالى؟ أنت لا شيء أمام شرع الله ودينه، لا بدَّ أن تفني نفسك في سبيل الله سبحانه وتعالى، أفلا تتراجع عن كلمة أخطأت فيها من أجل أن تحفظ دين الله سبحانه وتعالى؟

هنا يعلمنا الشيخ رحمه الله درساً في ذلك، بعد أن أخطأ في هذه الكلمة، أو عبّر فيها بهذه الكلمة وأُنكرت عليه وصار بسببها بلبلة، تراجع عن هذا الكلام، وإن كان رحمه الله لم يُرِدِ المعنى

الفاسد، لكن كونها كلمة موهمة مجملة تراجع عنها.

لاحظ هنا قوله: (ورأيت من الواجب استبعاد كلمة "ذاتية")،

رآه واجباً بعد ذلك.

قال: (واعلم أنّ كلّ كلمة تستلزم كون الله تعالى في الأرض، أو اختلاطه بمخلوقاته، أو نفي علوّه، أو نفي استوائه على عرشه، أو غير ذلك مما لا يليق به تعالى فإنّها كلمة باطلة، يجب إنكارها على قائلها كائناً من كان، وبأي لفظ كانت)

لاحظ كيف تراجع، حذف الكلمة الخطأ التي رأى أنّه يجب عليه أن يحذفها، ثم قرّر بطلان العقيدة التي أوهمتها تلك الكلمة، هكذا يكون التراجع؛ تقرّر العقيدة الصحيحة وتبطل العقيدة الفاسدة وتحذف الكلام المجمل.

قال: (وكلُّ كلامٍ يوهِم- ولو عندَ بعض الناس- ما لا يليقُ بالله تعالى، فإنّ الواجب تجنبه، لئلا يُظنّ بالله تعالى ظنّ السوء، لكن ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ فالواجب إثباته، وبيان بطلان وَهْمِ من تَوَهَّمَ فيه ما لا يليق بالله عزّوجلّ)

كلام واضح، أيّ كلام مجمل يوهم معنىً باطلاً فيجب حذفه، وإذا كان الكلام موجوداً في كتاب الله أو في سنّة رسول الله ﷺ فظاهره حقّ، وهذا إذا توهم بعض الناس أنّ فيه باطلاً، يردُّ على هذا التوهم ويبطل التوهم، فقط هكذا يكون التعامل مع مثل هذه المسائل.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁.